

ندوة إذاعية (خصائص الشريعة)

الربانية

يتميز النظام السياسي في الإسلام بأنه نظام رباني ، والربانية في هذا النظام تعني أمرين :
ربانية المصدر وربانية الوجهة على النحو التالي :-

(١) ربانية المصدر

المقصود بربانية المصدر أن مصدر هذا النظام من الرب سبحانه وتعالى حيث أنزله في كتابه ، ويؤكد هذا ما ورد من التهديد والوعيد لمن لم يحكم بما أنزل الله ، كما في قوله سبحانه :
t Au “ Rr & ! \$ y J Î / Oä3øt st ó O©9 ` t Bu r â :
á t b r ã □ Ĩ Ÿ » s3ø9 \$ # ã Nè d y 7 Í ´ - » s9 'r é 'sùª ! \$ #
(١)

وقوله :
t Au “ Rr & ! \$ y J Î / Nà 6øt st ó O©9 ` t Bu r â :
á t b q ß J Ĩ = » ©à 9 \$ # ã Nè d y 7 Í ´ - » s9 'r é 'sùª ! \$ #
(٢)

وقوله :
t Au “ Rr & ! \$ y J Î / Nà 6øt st ó O©9 ` t Bu r â :
š c q à) Å ĩ » x Ÿ ø9 \$ # ã Nè d y 7 Í ´ - » s9 'r é 'sùª ! \$ #
á (٣)

ومما أنزل في القرآن الكريم من الأنظمة السياسية السمع والطاعة لولي الأمر بعد طاعة الله ورسوله كما في قوله سبحانه :
t û ĩ Ĩ %©! \$ # \$ p k š %r ´ - » t f â :
©! \$ # (# q ã è ‹ Ĩ Ũ r & (# û q ã Yt B# u ä
, Í < 'r é & u r t Aq ß ™ § □ 9 \$ # (# q ã è ‹ Ĩ Ũ r & u r
á ó Oä3Z Ĩ B Í □ ö DF { \$ #
(٤) . وكذا العمل بمبدأ الشورى كما في قوله
سبحانه وتعالى :
á Í □ ö DF { \$ # ' Í û ö Nè d ö ' Í r \$ x © u r â
(٥) . والحكم

(١) سورة المائدة ، الآية ٤٤ .

(٢) سورة المائدة ، الآية ٤٥ .

(٣) سورة المائدة ، الآية ٤٧ .

(٤) سورة النساء ، الآية ٥٩ .

(٥) سورة آل عمران ، الآية ١٥٩ .

y “ \$ u ‹ ø t x C u r ’ Å 5 Ý j è S u r ’ ĩ Aÿx | 1
t û ü ĩ H s > » y è ø 9 \$ # É b > u ’ ¬ ! † ĩ A \$ y J t B u r
y 7 ĩ 9 “ x ‹ ĩ / u r (¼ ç m s 9 y 7 f ĩ Ž Ÿ ˆ Ÿ w Ç Ê ĩ È È
ã A “ r r & O \$ t R r & u r ß N ö □ ĩ B é &
. (٩) á t û ü ĩ H í > ó j ç R ù Q \$ #

هكذا يعلن الإنسان المؤمن توجهه لله سبحانه وتعالى في جميع أموره ، ومن جملتها
منهجه السياسي الذي يسير عليه .

والعمل بالنظام السياسي الإسلامي أمر يُتَعَبَدُ الله به ، فالسياسي المسلم الذي يسير
على شرع الله مخلصاً في ذلك نيته مأجور عند الله سبحانه وتعالى على سياسته، ومما يدل
على ذلك ما ورد في صحيح البخاري من حديث أبي هريرة عن النبي (صلى الله عليه
وسلم) قال : «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله الإمام العادل وشاب نشأ في
عبادة ربه ورجل قلبه معلق في المساجد ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ورجل
طلبته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله ورجل تصدق أخفى حتى لا تعلم شماله
ما تنفق يمينه ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه» (١٠) .

وفي سنن الترمذي عن أبي سعيد قال قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : «إن
أحب الناس إلى الله يوم القيامة وأدناهم منه مجلسا إمام عادل ، وأبغض الناس إلى الله
وأبعدهم منه مجلسا إمام جائر » . (١١)

وفي المقابل فإن من أعرض عن السياسة الإسلامية وعمل بخلافها فإنه معرض للعقوبة
من الله سبحانه وتعالى ، ويدل على ذلك ما ورد في صحيح البخاري من حديث معقل بن
يسار (رضي الله عنه) قال سمعت النبي (صلى الله عليه وسلم) يقول : «ما من عبد استرعاه
الله رعية فلم يحطها بنصحه إلا لم يجد رائحة الجنة» (١٢) .

(٩) سورة الأنعام ، الآيتان ١٦٣، ١٦٢ .

(١٠) الجامع الصحيح ، كتاب الأذان ، حديث رقم ٦٦٠ .

(١١) كتاب الأحكام ، حديث رقم ١٣٢٩ .

(١٢) كتاب الأحكام ، حديث رقم ٧١٥٠ .

وفي رواية أخرى عند البخاري أيضاً من حديث معقل بن يسار (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : «ما من وال يلي رعية من المسلمين فيموت وهو غاش لهم إلا حرم الله عليه الجنة»^(١٣) .

العالمية

الدين الإسلامي وما جاء به من النظم له خاصية العالمية ، فهي نظم عالمية تتميز بعالمية الزمان وعالمية المكان ، فعالمية الزمان تعني أنها صالحة إلى قيام الساعة ، وعالمية المكان تعني أنها صالحة على أي جزء من أجزاء المعمورة . فهي صالحة للناس جميعهم على اختلاف أجناسهم ولغاتهم ، ولقد جاءت الآيات والأحاديث ببيان هذه الصفة ، ومن ذلك :-

قولــــــــــــه ســـــــــــــبحانه : t B u r â \$ d q u) ĩ Œ ð . Ö

9 j ĩ = ù è y » H s > ũ ü t á .^(١٤)

وقال سبحانه: â ¨ \$ ¨ Z9 \$ # \$ y g • f r ' ¯ » t f ö @è % â
ö Nà 6ø ‹ s9 î) « ! \$ # ã Aq ß ™ u ‘ ’ ï o T î)
. (١٥) á \$. è Š Ĩ Hsd

وقال سبحانه وتعالى: **â t B u r & ! \$ r ö ' y ù = y 7 » (žm**
‘ q u ÷ H p Z j ï = ù è y » n = J İ ü š á . (١٦)

ومن السنة ما ورد عن جابر بن عبد الله (رضي الله عنه) أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: «أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي، نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي المغانم ولم تحل

(١٣) كتاب الأحكام ، حديث رقم ٧١٥١ .

(١٤) سورة القلم ، الآية ٥٢ .

(١٥) سورة الأعراف ، الآية ١٥٨ .

(١٦) سورة الأنبياء ، الآية ١٠٧ .

لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة «(١٧) .

وعن تميم الداري (رضي الله عنه) قال سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول : « ليلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ولا يترك الله بيت مدر^(١٨) ولا وبر^(١٩) إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل عزا يعز الله به الإسلام وذلا يذل الله به الكفر » وكان تميم الداري يقول قد عرفت ذلك في أهل بيتي، لقد أصاب من أسلم منهم الخير والشرف والعز ولقد أصاب من كان منهم كافراً الذل والصغار والجزية^(٢٠) .

وكذلك كون هذا الدين هو آخر الأديان، ولا دين بعده، فلا بد أن يكون صالحاً لكل زمان ومكان إلى قيام الساعة . كما أن المصدر الأصلي لهذا الدين بقي سليماً لم تمسه يد التحريف والتبديل لدليل قاطع أيضاً على عالمية هذا الدين وأنظمتها باختلاف أنواعها .

مطابقة الواقع

جاء هذا الدين مطابقاً للواقع ، ويعني ذلك في المجال السياسي ثلاثة أمور :-

- ١ - الإتيان بالأنظمة والتشريعات السياسية الممكنة التطبيق في واقع البشر .
- ٢ - النظر إلى الحاكم على أنه بشر له حقوقه وعليه واجباته ، وعدم التجاوز في حقوقه إلى مالمس له .
- ٣ - النظر إلى المحكوم على أنه بشر له حقوقه وعليه واجباته ، وعدم بخسه من الحقوق ما هو له .

ولقد شطحت بعض النظم الوضعية في واقعيتها ، فعلى سبيل المثال جاءت الشيوعية بنظام (من كل حسب قدرته ، ولكل حسب حاجته) وهذه فكرة وهمية لم يستطع

(١٧) أخرجه البخاري، الجامع الصحيح ، كتاب التيمم ، حديث رقم ٣٢٣ . ومسلم ، كتاب المساجد ومواضع

الصلاة ، حديث رقم ٨١٠ . وهذا لفظ البخاري .

(١٨) المدر هو الطين اليابس ، وهم أهل القرى والأمصا .

(١٩) الوبر هو الصوف أو الشعر ، وهم أهل البادية .

(٢٠) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ١٠٣/٤ .

الشيوعيون تطبيقها ، لأنها تصطدم مع واقع الناس ومع فطرتهم ، لذلك خسر الناس هنا حرياتهم في النظام الشيوعي ، وما كسبوا المساواة في حياتهم .

وجاء الشيوعيون أيضاً بفكرة أخرى ألا وهي فكرة زوال الدولة ، وما يتعلق بها من أنظمة تحكم الناس ، ولكن هذا كله كان خيلاً لم يكن له رصيد من الواقع في يوم من الأيام .

وفي جانب آخر كان الماديون الغرب ينعقون بفكرة (الديمقراطية)^(٢١) التي لم يستطيعوا يستطيعوا تحقيقها لعدم واقعيتها ، حتى أن بعض مفكريهم يسخر منها ويقول : « إنه نظام لا يتحقق إلا إذا حكمت الآلهة » .

والنموذج الفارسي قام على أساس اختفاء حقوق المحكوم إزاء الحاكم ، فالحاكم عندهم إله سياسي ، والمحكوم لا وجود له ، لذا انتهى إلى الانغلاق والفشل في صنع دولة مهيمنة ، لقد أطلق سيادة الحاكم ولم يسمح للفرد بأي وجود سياسي ، ويدل على ذلك ما قاله ربيعي بن عامر (رضي الله عنه) « الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ... »^(٢٢) .

كما أن النصرانية تقوم على المثالية في نظرتها للإنسان ، أما الإسلام فيقوم على الواقعية وعلى الاعتراف بما في الإنسان من خير وشر ، ومن قوة وضعف . والنصرانية تقوم على حل المشاكل بالروحانية وحدها ، بينما الإسلام لا يقلل من شأن العامل المادي إلى جانب العامل الروحي ، ومن ذلك على سبيل المثال ما يلي : -

(٢١) الديمقراطية اصطلاح يوناني قديم ، مركب من لفظين (ديموس) بمعنى شعب (كراتوس) بمعنى سلطة ، وهي إحدى صور الحكم التي تكون فيها السيادة للشعب ، وتقوم على أساس أن الشعب هو صاحب السيادة ومصدر الشريعة . (انظر : د. عبد الوهاب الكيالي وآخرون ، موسوعة السياسة ، ط ١ ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٨١ . إبراهيم أنيس ورفاقه ، المعجم الوسيط ص ٣٠٧ . وزكريا الخطيب ، نظام الشورى في الإسلام ، مطبعة السعادة ، ١٤٠٥) .

(٢٢) وكان ذلك في معركة القادسية عندما بعثه سعد بن أبي وقاص (رضي الله عنه) ، انظر ابن كثير ، البداية والنهاية

* النصرانية تطالب الإنسان بالتنازل عن حقه وماله إذا سلب منه ، ومن تعاليمهم في ذلك « من جذبك من طرف ردائك فاترك له الثوب كله» ، ومنها « من سرق قميصك فأعطه إزارك » .

أما في الإسلام فإن الإنسان مطالب بالحفاظ على ماله وهو مأجور على هذا ، لما في صحيح البخاري عن عبدالله بن عمرو (رضي الله عنهما) قال سمعت النبي (صلى الله عليه وسلم) يقول : « من قتل دون ماله فهو شهيد »^(٢٣) .

وفي صحيح مسلم أيضاً عن أبي هريرة قال جاء رجل إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقال يا رسول الله ، أرايت إن جاء رجل يريد أخذ مالي؟ قال : «فلا تعطه مالك» قال أرايت إن قاتلني؟ قال : « قاتله » قال : أرايت إن قتلني؟ قال : « فأنت شهيد » قال: أرايت إن قتلته . قال : «هو في النار»^(٢٤) .

* والنصرانية تطالب المظلوم بعدم مقاومة الظلم والعدوان ، فمن تعاليمهم « من ضربك على خدك الإيمن فأدر له خدك الأيسر» .

وأما في الإسلام فيقتص للمظلوم من الظالم كما في قوله سبحانه :
 ſ ú÷üy è ø9 \$ # u r Ä\$øÿ " Z9 \$ \$ Î / }\$øÿ " Z9 \$ #
 y # RF{ \$ # u r É ú÷üy è ø9 \$ \$ Î /
 È b è ŒW{ \$ \$ Î / ſ c è ŒW{ \$ # u r É# RF{ \$ \$ Î /
 Ç d ` Å b j 9 \$ \$ Î / £ ` Å b j 9 \$ # u r
 â : وقول^(٢٥)
 (# q ç 7 Ĩ % \$ y è sùó Oç Gö6s%%t æ÷b Ĩ) u r
 (¾Ĩ mĨ / Oç F ö6Ĩ %q ãã \$ t B È @÷VĨ J Ĩ /
 Ö Ž ö □ y z u q ß g s9 ÷ L ä n ö Ž y 9 | ' û È õ s9 u r
 9 ¢ Á = Ĩ j 9 » á ſ ũ Ĩ Ž É 9^(٢٦) ، ومع هذا فإنه يحث على العفو كما في قوله

(٢٣) الجامع الصحيح ، كتاب المظالم والغصب ، حديث رقم ٢٤٨٠ .

(٢٤) كتاب الإيمان ، حديث رقم ١٤٠ .

(٢٥) سورة المائدة ، الآية ٤٥ .

(٢٦) سورة النحل ، الآية ١٢٦ .

الشمول

وقوله ســـــــــــــــــــــــبحانه: B â " u Z ô Û \$ sù \$ " á & ä ó Ó x « ` İ B É = » t G Å 3 ø 9 \$ #
قال ابن سعدي في تفسيره: ما أهملنا ولا أغفلنا في اللوح المحفوظ شيئاً من الأشياء . ويحتمل أن المراد بالكتاب ، هذا القرآن ، وأن المعنى كالمعنى في قوله تعالى: t Ru r â " u Z ø 9 " " \$ YZ » u ‹ ö ; İ ? | = » t G Å 3 ø 9 \$ # y 7 ø ‹ n = t ā
. (٣١) « á & ä ó Ó x « È e @ ä 3 İ j 9

(٢٧) سورة الشورى ، الآية ٤٠ .

(٢٨) سورة النحل ، الآية ٨٩ .

(٢٩) زاد المسير ٤/٤٨٢ .

(٣٠) سورة الأنعام ، الآية ٣٨ .

(٣١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ٣٩٦/٢ .

ومما يدل على هذا الشمول أيضاً ما ورد عن سلمان الفارسي (رضي الله عنه) قال: قال لنا المشركون: إني^(٣٢) أرى صاحبكم يعلمكم حتى يعلمكم الخراءة^(٣٣)، فقال: أجل^(٣٤).

وعن أبي ذر (رضي الله عنه) قال: لقد تركنا محمد (صلى الله عليه وسلم) وما يحرك طائر جناحيه في السماء إلا أذكرنا منه علماً^(٣٥).

الوسطية

جاء الإسلام وسطاً في عقيدته، وسطاً في شريعته بين الغلو والتقصير، وكذلك وسطاً في أنظمتها ومن جملتها النظام السياسي في الإسلام، فلا هو نظام دكتاتوري مُفَرِّط، ولا نظام ديمقراطي مُفَرِّط، وبهذا كان خير نظام عرفته البشرية.

لقد وصف الله سبحانه وتعالى هذه الأمة بالوسطية كما في قوله سبحانه وتعالى: **â Z p " B é & ö N ä 3 » s Y ù = y è y _ y 7 İ 9 " x < x . u r u ä ! # y % p k à - (# q ç R q à 6 t G j 9 \$ V Ü y T M u r ã A q ß T M § □ 9 \$ # t b q ä 3 t f u r Ä " \$ " Y 9 \$ # ' n ? t ä . (٣٦) á # Y % œ Î g x © ö N ä 3 ø < n = t æ**

والوسط هو الخيار والأجود، كما يقال قريش أوسط العرب نسباً وداراً أي خيرها، وكان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وسطاً في قومه، أي أشرفهم نسباً، وقيل الوسط العدل^(٣٧). وقال القرطبي: ووسط الوادي خير موضع فيه، ولما كان الوسط مجانباً للغلو والتقصير كان محموداً^(٣٨). **الربانية**

(٣٢) قال النووي: هكذا في الأصل، وهو صحيح، تقديره: قال لنا قائل المشركين، أو أنه أراد واحداً من المشركين، أو أنه أراد واحداً من المشركين، وجمعه لكون باقهم يوافقونه. (صحيح مسلم بشرح النووي ١٥٧/٣).

(٣٣) المراد ما يتعلق بقضاء الحاجة من الآداب.

(٣٤) أخرجه مسلم، كتاب الطهارة، حديث رقم ٢٦٢.

(٣٥) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ١٥٣/٥.

(٣٦) سورة البقرة، الآية ١٤٣.

(٣٧) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ١ / ١٩١.

(٣٨) الجامع لأحكام القرآن ١٠٤/٢.

يتميز النظام السياسي في الإسلام بأنه نظام رباني ، والربانية في هذا النظام تعني أمرين
: ربانية المصدر وربانية الوجهة على النحو التالي :-

(١) ربانية المصدر

المقصود بربانية المصدر أن مصدر هذا النظام من الرب سبحانه وتعالى حيث أنزله في كتابه ، ويؤكد هذا ما ورد من التهديد والوعيد لمن لم يحكم بما أنزل الله ، كما في قوله

سبحانه : t Au “ Rr & ! \$ y J Î / Oä3øt st† ó O©9 ` t Bu r â
á t b r ā □ Ĩ ŷ » s3ø9 \$ # ā Nè d y 7 Í ´ - » s9 'r é 'sùª ! \$ #
(٣٩)

وقوله : t Au “ Rr & ! \$ y J Î / Nà 6øt st† ó O©9 ` t Bu r â
á t b q ß J Ĩ = » ©à 9 \$ # ā Nè d y 7 Í ´ - » s9 'r é 'sùª ! \$ #
(٤٠)

وقوله : t Au “ Rr & ! \$ y J Î / Nà 6øt st† ó O©9 ` t Bu r â
š c q à) Å ĩ » x ŷ ø9 \$ # ā Nè d y 7 Í ´ - » s9 'r é 'sùª ! \$ #
á (٤١)

ومما أنزل في القرآن الكريم من الأنظمة السياسية السمع والطاعة لولي الأمر بعد طاعة

الله ورسوله كما في قوله سبحانه : t f â » t f â
©! \$ # (# q ã è ‹ Ĩ Ū r & (# ū q ã Yt B# u ä
' Í < 'r é & u r t Aq ß ™ § □ 9 \$ # (# q ã è ‹ Ĩ Ū r & u r
á ó Oä3Z Ĩ B Í □ ö DF { \$ #
سبحانه وتعالى :
á Í □ ö DF { \$ # ' Í ū ö Nè d ö ' Í r \$ x © u r â
sœĬ) u r â : كما في قوله سبحانه وتعالى :

بالعدل بين الناس ، كما في قوله سبحانه وتعالى :

(٣٩) سورة المائدة ، الآية ٤٤ .

(٤٠) سورة المائدة ، الآية ٤٥ .

(٤١) سورة المائدة ، الآية ٤٧ .

(٤٢) سورة النساء ، الآية ٥٩ .

(٤٣) سورة آل عمران ، الآية ١٥٩ .

b r & Ä " \$ " Z 9 \$ # t û ÷ ü t / O ç F ô J s 3 x m
 . (٤٤) á É A ô % y è ø 9 \$ \$ Î / (# q ß J ä 3 ø t r B

وما جاء في الحديث النبوي من هذه الأنظمة فإنه يدخل تحت هذه الخاصة (الربانية)
لأن الله سبحانه هو الذي بعث رسوله وأوجب طاعته كما في قوله سبحانه وتعالى: **â**
ç n r ä ‹ ä , s ù ä A q ß ™ § □ 9 \$ # ä N ä 3 9 s ? # u ä ! \$ t B u r
á (# q ß g t F R \$ \$ s ù ç m ÷ Y t ä ö N ä 3 9 p k t X \$ t B u r
(٤٥). ولقد جاءت أحاديث كثيرة في هذا النظام ، منها حديث أنس بن مالك رضي الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد
حبشي كأن رأسه زبيبة »(٤٦).

ولهذه الميزة (ربانية المصدر) ثمار عديدة منها :-

- ١- العصمة من التناقض .
- ٢- البراءة من التحيز ، والتحيز هو الميل لمصلحة طائفة من البشر ، أو لبلد دون آخر.
- ٣- الاحترام وسهولة الانقياد .
- ٤- التحرر من عبودية الإنسان للإنسان . العبودية هي الذل والخضوع والانقياد، وقد انخرفت الأنظمة السياسية الوضعية بتذليل الأتباع للمتبعين ، واستعلاء الرؤساء على المرعوسين ، وفي جانب آخر من جوانب العبودية هو أن السادة قد يُجرّمون على أتباعهم ما يشاؤون ويحللون لهم ما يشاؤون . أما في الإسلام فالمرجع هو الله ، فلا خضوع إلا لله ، ولا عبودية إلا له سبحانه .

(ب) ربانية الوجهة

وهو أن يبتغي الإنسان بعمله الله سبحانه وتعالى ، فالإنسان المسلم هو الذي تكون أعماله كلها لله سبحانه وتعالى كما في قوله سبحانه: **â % è @ ö) b Î "**
y " \$ u ‹ ø t x C u r ' Å 5 Ý j è S u r ' İ A ÿ x | ¹
t û ü İ H s > » y è ø 9 \$ # É b > u ' ¬ ! † İ A \$ y J t B u r
y 7 İ 9 " x ‹ Î / u r (¼ ç m s 9 y 7 f Î Ž Ÿ ° Ÿ w Ç Ê İ Ë È

(٤٤) سورة النساء ، الآية ٥٨ .

(٤٥) سورة الحشر ، الآية ٧ .

(٤٦) أخرجه البخاري ، الجامع الصحيح ، كتاب الأذان ، حديث رقم ٦٩٣ .

هكذا يعلن الإنسان المؤمن توجهه لله سبحانه وتعالى في جميع أموره ، ومن جملتها منهجه السياسي الذي يسير عليه .

والعمل بالنظام السياسي الإسلامي أمر يُتَعَبَدُ الله به ، فالسياسي المسلم الذي يسير على شرع الله مخلصاً في ذلك نيته مأجور عند الله سبحانه وتعالى على سياسته، ومما يدل على ذلك ما ورد في صحيح البخاري من حديث أبي هريرة عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال : «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله الإمام العادل وشاب نشأ في عبادة ربه ورجل قلبه معلق في المساجد ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله ورجل تصدق أخفى حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه»(٤٨) .

وفي سنن الترمذي عن أبي سعيد قال قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : «إن أحب الناس إلى الله يوم القيامة وأدناهم منه مجلسا إمام عادل ، وأبغض الناس إلى الله وأبعدهم منه مجلسا إمام جائر» .(٤٩)

وفي المقابل فإن من أعرض عن السياسة الإسلامية وعمل بخلافها فإنه معرض للعقوبة من الله سبحانه وتعالى ، ويدل على ذلك ما ورد في صحيح البخاري من حديث معقل بن يسار (رضي الله عنه) قال سمعت النبي (صلى الله عليه وسلم) يقول: «ما من عبد استرعاه الله رعية فلم يحطها بنصحه إلا لم يجد رائحة الجنة»(٥٠) .

(٤٧) سورة الأنعام ، الآيتان ١٦٣، ١٦٢ .

(٤٨) الجامع الصحيح ، كتاب الأذان ، حديث رقم ٦٦٠ .

(٤٩) كتاب الأحكام ، حديث رقم ١٣٢٩ .

(٥٠) كتاب الأحكام ، حديث رقم ٧١٥٠ .

وفي رواية أخرى عند البخاري أيضاً من حديث معقل بن يسار (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : «ما من وال يلي رعية من المسلمين فيموت وهو غاش لهم إلا حرم الله عليه الجنة»^(١).

العالمية

الدين الإسلامي وما جاء به من النظم له خاصية العالمية ، فهي نظم عالمية تتميز بعالمية الزمان وعالمية المكان ، فعالمية الزمان تعني أنها صالحة إلى قيام الساعة ، وعالمية المكان تعني أنها صالحة على أي جزء من أجزاء المعمورة . فهي صالحة للناس جميعهم على اختلاف أجناسهم ولغاتهم ، ولقد جاءت الآيات والأحاديث ببيان هذه الصفة ، ومن ذلك :-

قولـــــــــــــه ســــــــــــبحانه : t B u r â \$ d q u) ĩ Œ ð . Ö

9 j ĩ = ù è y » H s > ũ ü t á (٥٢) .

وقال سبحانه: â ¨ \$ ¨ Z9 \$ # \$ y g • f r ' ¯ » t f ö @è % â
ö Nà 6ø ‹ s9 î) « ! \$ # ã Aq ß ™ u ‘ ’ ï o T î)
. (٥٣) á \$. è Š Ĩ Hsd

وقال سبحانه وتعالى: **â t B u r & ! \$ r ö ' y ù = y 7 » (žm**
‘ q u ÷ H p Z 9 j ï = ù è y » n = J İ ü š á . (٥٤)

ومن السنة ما ورد عن جابر بن عبد الله (رضي الله عنه) أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: «أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي، نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي المغنم ولم تحل

(٥١) كتاب الأحكام ، حديث رقم ٧١٥١ .

(٥٢) سورة القلم ، الآية ٥٢ .

(٥٣) سورة الأعراف ، الآية ١٥٨ .

(٥٤) سورة الأنبياء ، الآية ١٠٧ .

لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة ((٥٥).

وعن تميم الداري (رضي الله عنه) قال سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول : « ليلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ولا يترك الله بيت مدر (٥٦) ولا وبر (٥٧) إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل عزاء يعز الله به الإسلام وذلا يذل الله به الكفر » وكان تميم الداري يقول قد عرفت ذلك في أهل بيتي، لقد أصاب من أسلم منهم الخير والشرف والعز ولقد أصاب من كان منهم كافراً الذل والصغار والجزية (٥٨).

وكذلك كون هذا الدين هو آخر الأديان، ولا دين بعده، فلا بد أن يكون صالحاً لكل زمان ومكان إلى قيام الساعة . كما أن المصدر الأصلي لهذا الدين بقي سليماً لم تمسه يد التحريف والتبديل لدليل قاطع أيضاً على عالمية هذا الدين وأنظمتها باختلاف أنواعها .

الشمول

النظام السياسي في الإسلام لم يأت قاصراً على ما يهم الحاكم ، أو على ما يهم المحكوم ، بل جاء شاملاً لكل ما يحتاجه النظام من بيان لواجبات الأمير وحقوقه، وواجبات المأمور وحقوقه ، وجاء النظام الإسلامي أيضاً بما ينظم علاقة الدولة الإسلامية بغيرها من الأمم والشعوب ، من المسلمين وغير المسلمين .

ويدل على هذا الشمول قوله سبحانه: \$ u Z ø 9 " " t R u r â \$ Y Z » u < ö ; İ ? | = » t G Å 3 ø 9 \$ # y 7 ø < n = t ä Z p y J ô m u ' u r " Y % è d u r & ä ó Ó x « È e @ ä 3 İ j 9 á t û ü İ J İ = ó j ß J ù = İ 9 3 " u Ž ô ³ ç 0 u r قال ابن الجوزي (٥٩)

(٥٥) أخرجه البخاري، الجامع الصحيح ، كتاب التيمم ، حديث رقم ٣٢٣ . ومسلم ، كتاب المساجد ومواضع

الصلاة ، حديث رقم ٨١٠ . وهذا لفظ البخاري .

(٥٦) المدر هو الطين اليابس ، وهم أهل القرى والأمصار .

(٥٧) الوبر هو الصوف أو الشعر ، وهم أهل البادية .

(٥٨) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ١٠٣/٤ .

(٥٩) سورة النحل ، الآية ٨٩ .

في تفسير هذه الآية : لكل شيء من أمور الدين ، إما بالنص عليه ، أو بالإحالة إلى ما يوجب العلم ، مثل بيان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أو إجماع المسلمين^(٦٠) .

وقوله ————— بحانه: B â " sù\$ u Z ô Û\$ ' Î û \$ ' á & ä ó Óx « ` İ B É = » t GÅ3ø9 \$ # قال ابن سعدي في تفسيره: ما أهملنا ولا أغفلنا في اللوح المحفوظ شيئاً من الأشياء . ويحتمل أن المراد بالكتاب ، هذا القرآن ، وأن المعنى كالمعنى في قوله تعالى: \$ u Z ø9 " " t Ru r â : \$ YZ » u < ö ; İ ? | = » t GÅ3ø9 \$ # y 7 ø < n = t ā á & ä ó Óx « È e @ä3İ j 9 .^(٦٢)

ومما يدل على هذا الشمول أيضاً ما ورد عن سلمان الفارسي (رضي الله عنه) قال: قال لنا المشركون: إني^(٦٣) أرى صاحبكم يعلمكم حتى يعلمكم الخراءة^(٦٤)، فقال: أجل^(٦٥) .

وعن أبي ذر (رضي الله عنه) قال : لقد تركنا محمد (صلى الله عليه وسلم) وما يحرك طائر جناحيه في السماء إلا أذكرنا منه علماً^(٦٦) .

مطابقة الواقع

جاء هذا الدين مطابقاً للواقع ، ويعني ذلك في المجال السياسي ثلاثة أمور :-

١ - الإتيان بالأنظمة والتشريعات السياسية الممكنة التطبيق في واقع البشر .

(٦٠) زاد المسير ٤/ ٤٨٢ .

(٦١) سورة الأنعام ، الآية ٣٨ .

(٦٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ٢/ ٣٩٦ .

(٦٣) قال النووي : هكذا في الأصل ، وهو صحيح ، تقديره : قال لنا قائل المشركين ، أو أنه أراد واحداً من المشركين ، أو أنه أراد واحداً من المشركين ، وجمعه لكون باقهم يوافقونه . (صحيح مسلم بشرح النووي ٣/ ١٥٧) .

(٦٤) المراد ما يتعلق بقضاء الحاجة من الآداب .

(٦٥) أخرجه مسلم ، كتاب الطهارة ، حديث رقم ٢٦٢ .

(٦٦) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٥/ ١٥٣ .

٢- النظر إلى الحاكم على أنه بشر له حقوقه وعليه واجباته ، وعدم التجاوز في حقوقه إلى مالمس له .

٣- النظر إلى المحكوم على أنه بشر له حقوقه وعليه واجباته ، وعدم بخسه من الحقوق ما هو له .

ولقد شطحت بعض النظم الوضعية في واقعيتها ، فعلى سبيل المثال جاءت الشيوعية بنظام (من كل حسب قدرته ، ولكل حسب حاجته) وهذه فكرة وهمية لم يستطع الشيوعيون تطبيقها ، لأنها تصطدم مع واقع الناس ومع فطرتهم ، لذلك خسر الناس هنا حرياتهم في النظام الشيوعي ، وما كسبوا المساواة في حياتهم .

وجاء الشيوعيون أيضاً بفكرة أخرى ألا وهي فكرة زوال الدولة ، وما يتعلق بها من أنظمة تحكم الناس ، ولكن هذا كله كان خيالاً لم يكن له رصيد من الواقع في يوم من الأيام .

وفي جانب آخر كان الماديون الغرب ينعقون بفكرة (الديمقراطية)^(٦٧) التي لم يستطيعوا يستطيعوا تحقيقها لعدم واقعيتها ، حتى أن بعض مفكريهم يسخر منها ويقول : « إنه نظام لا يتحقق إلا إذا حكمت الآلهة » .

والنموذج الفارسي قام على أساس اختفاء حقوق المحكوم إزاء الحاكم ، فالحاكم عندهم إله سياسي ، والمحكوم لا وجود له ، لذا انتهى إلى الانغلاق والفشل في صنع دولة مهيمنة ، لقد أطلق سيادة الحاكم ولم يسمح للفرد بأي وجود سياسي ، ويدل على ذلك ما

(٦٧) الديمقراطية اصطلاح يوناني قديم ، مركب من لفظين (ديموس) بمعنى شعب (كراتوس) بمعنى سلطة ، وهي إحدى صور الحكم التي تكون فيها السيادة للشعب ، وتقوم على أساس أن الشعب هو صاحب السيادة ومصدر الشريعة . (انظر : د. عبدالوهاب الكيالي وآخرون ، موسوعة السياسة ، ط ١ ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٨١ . إبراهيم أنيس ورفاقه ، المعجم الوسيط ص ٣٠٧ . وذكريا الخطيب ، نظام الشورى في الإسلام ، مطبعة السعادة ، ١٤٠٥) .

قاله ربعي بن عامر (رضي الله عنه) « الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ... » (٦٨) .

كما أن النصرانية تقوم على المثالية في نظرتها للإنسان ، أما الإسلام فيقوم على الواقعية وعلى الاعتراف بما في الإنسان من خير وشر ، ومن قوة وضعف . والنصرانية تقوم على حل المشاكل بالروحانية وحدها ، بينما الإسلام لا يقلل من شأن العامل المادي إلى جانب العامل الروحي ، ومن ذلك على سبيل المثال ما يلي : -

* النصرانية تطالب الإنسان بالتنازل عن حقه وماله إذا سلب منه ، ومن تعاليمهم في ذلك « من جذبك من طرف ردائك فاترك له الثوب كله » ، ومنها « من سرق قميصك فأعطه إزارك » .

أما في الإسلام فإن الإنسان مطالب بالحفاظ على ماله وهو مأجور على هذا ، لما في صحيح البخاري عن عبدالله بن عمرو (رضي الله عنهما) قال سمعت النبي (صلى الله عليه وسلم) يقول : « من قتل دون ماله فهو شهيد » (٦٩) .

وفي صحيح مسلم أيضاً عن أبي هريرة قال جاء رجل إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقال يا رسول الله ، أرايت إن جاء رجل يريد أخذ مالي ؟ قال : « فلا تعطه مالك » قال أرايت إن قاتلني ؟ قال : « قاتله » قال : أرايت إن قتلني ؟ قال : « فأنت شهيد » قال : أرايت إن قتلته . قال : « هو في النار » (٧٠) .

* والنصرانية تطالب المظلوم بعدم مقاومة الظلم والعدوان ، فمن تعاليمهم « من ضربك على خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر » .

وأما في الإسلام فيقتص للمظلوم من الظالم كما في قوله سبحانه :
\$ ũ ÷ ü y è ø 9 \$ # u r Ä \$ ø y " Z 9 \$ \$ Î / } \$ ø y " Z 9 \$ #
y # RF { \$ # u r É ũ ÷ ü y è ø 9 \$ \$ Î /

(٦٨) وكان ذلك في معركة القادسية عندما بعثه سعد بن أبي وقاص (رضي الله عنه) ، انظر ابن كثير ، البداية والنهاية ٣٩ / ٧ .

(٦٩) الجامع الصحيح ، كتاب المظالم والغصب ، حديث رقم ٢٤٨٠ .

(٧٠) كتاب الإيمان ، حديث رقم ١٤٠ .

(٧٦) الجامع لأحكام القرآن ١٠٤/٢ .